الاتصال الوثائقي في الأندلس على ضوء تراجم الصلة لإبن بشكوال عرض ببيليوغرافي

د. صورية متاجر

جامعة سيدي بلعباس

تساهم الفترة الممتدة ما بين القرنين الثاني والسادس الهجريين بالأندلس ثقافيا، في رسم معالم الحركة الفكرية في مجال العلم والعلماء والاتصال الوثائقي فيما بينهم، وترسم لنا صورة صحيحة عن مسرى التطورات الحضارية خلال الفترة من تاريخ الأندلس، فهي تمثل أوج مرحلة الريادة الفكرية، وقفزة نحو مرحلة التوسع والتنويع في العطاء، وهذا من خلال المجالات الثقافية والمعرفية:

1. اتساع نطاق التبادل الثقافي بين الأندلس وبلدان العالم الإسلامي سيما أقطار المغرب، وهذا بفضل حركة الاتصال العلمي.
2. ارتفاع حجم الإنتاج الفكري و الإبداعي وتنويع مجالاته، خاصة في الفلسفة والأدب، والعلوم الطبيعية.

انعكاس التوجه السياسي والفكري والمذهبي لدى المرابطين ثم الموحدين على المناخ الثقافي بالأندلس سلبا وإيجابا مع فتح المجال أمام المثقفين من أهل الأندلس للاستقرار بعدوة المغرب.

عندما نتحدث عن التواصل الثقافي عبر التاريخ، فإننا لن نجد مثالا أروع من الحضارة الإسلامية في الأندلس، فقد لعبت الأندلس كجسر للتواصل في ثقافتها عن طريق العلماء الذين دونت تراجمهم كتب الصلات و الرجال و الطبقات. وأدّى هذا التواصل الثقافي إلى ولادةِ وتبَلْور الحضارة الأندلسية. والمعني

بالتواصل الثقافي هو تبادل الثقافات، الاتصال يبعضها البعض تحاورا و تعارفاً وتلاحقا. ويعد التواصل الثقافي بين الشعوب من الظواهر الإيجابية الهامة التي كان لها دور كبير وهام في تطور الفكر الإنساني وتقدّم الحضارة والثقافة العالمية. وهو يمثل التأثر والتأثير بين الحضارات.

لقد انعكس هذا التواصل على النضج العلمي واكتمال نمو الشخصية العلمية للأندلس. ومن مظاهر التواصل العلمي والثقافي بين علماء الأندلس أنه تم من خلال الرحلات و التنقلات العلمية ولقاء العلماء وتبادل الكتب، و لهذا فإن الرحلات العلمية تعتبر أهم جسر للتواصل.

كيف كان للتواصل العلمي ما بين الأندلسيين أثر كبير في ازدهار الحركة العلمية وتنشيطها؟ لقد كان أولئك العلماء الراحلين إلى المشرق أو المشارقة الراحلون إلى الأندلس يحملون معهم كثيراً من العلوم والمعارف المختلفة إلى جانب أعداد كبيرة من المصنفات والتأليف في شتى فروع المعرفة، فازداد النشاط العلمي بصورة سريعة ومتنامية. فأثمرت الرحلات العلمية للأندلسيين، وامتلأت الأندلس بآلاف الكتب والمصنفات في مختلف فروع العلم والمعرفة.

إن التميّز والنضج العلمي اللذين اتسمت به الأندلس كان نتيجة لهذا التواصل و الاتصال الوثائقي. إذ تألّق بعض العلماء الأندلسيين في العلوم، فصنفوا بأنفسهم مصنفات قيّمة ومنها عدد لا بأس به في نقد بعض الإنتاج العلمي للمشارقة، وهي ظاهرة تدل على نمو الشخصية العلمية الأندلسية وتحقيق ذاتها. كما أن بعض الكتابات التي ألفت عن فضل علماء الأندلس ونفاسة إنتاجهم العلمي، والتي تعطينا دليلاً حاسماً على نضوج الشخصية العلمية للأندلسيين وتفوقهم. حيث كانت تجارة الكتب في الأندلس، وهي أحد مظاهر التواصل، وإليها يعود الفضل في اتساع التبادل الفكري بين المشرق والأندلس من

جهة و بين الأندلسيين أنفسهم، فكان من أثر التواصل الثقافي أن ازدهرت الحياة العلمية في الأندلس، فازداد النشاط العلمي بصورة سريعة ومتنامية.

ملامح الاتصال الوثائقي عند ابن بشكوال: قراءة منهجية و ببليوغرافية.

يعد كتاب" الصلة" [1]لابن بشكوال مواصلة لكتاب "تاريخ العلماء" لابن الفرضي، و امتداد لما في الكتاب من ضوابط أهمها الالتزام بالحديث عن العلماء الأندلسيين و الوافدين على الأندلس من الغرباء و الجنوح للاقتصار على معطيات تتعلق بالمسيرة العلمية للمترجم لهم، بذكر أسماء شيوخهم و أسماء تلاميذهم و ما عرفوا به في حياتهم العلمية و الاجتماعية. و تكمن أهمية كتاب "الصلة" في الفترة التي تحدث عنها ، و هي النصف الثاني من القرن الرابع و كامل القرن الخامس و النصف الأول من القرن السادس للهجرة، و هي فترة اضطراب و محن و نكبات ارتبطت باسم "الفتنة". و إذا كنا نجد في نهاية الجزء الأول و نهاية الكتاب ما يدل على أن الفراغ من كتابته كان سنة 534هـ، و هو ما ذهب إليه ابن أبي شنب و هويسي ميراندا. [2]

إن صلة ابن بشكوال بها فجوات عن الفترة الزمنية التي يتصل بها تجاوزات هذا التاريخ، إذ نجد إشارات إلى سنوات مختلفة و متفاوتة فيما بينها 536هـ و سنة 537هـ، و سنة 538هـ، و سنة 542هـ، و سنة 544هـ، و سنة 546هـ، و سنة547هـ، و سنة 551هـ، و سنة 564هـ/1169م، فهل هي من زيادات التلاميذ أو الوراقين، أم من زيادات المؤلف الذي توفي سنة 578هـ و مهما يكن من أمر فإن عددا من المعطيات يتجاوز التاريخ النهائي المتفق عليه- و هو سنة 534هـ- بما يقارب ثلاثين سنة. توفي ابن بشكوال سنة 578هـ/1183م [3]، لكن تراجمه البيوغرافية وصلت إلى غاية 564هـ/1169م،و تناقصت في السنوات الأخيرة من الكتاب،(عشرات بعد سنة 545هـ). لذلك تم الاعتماد على الفترة التي تتراوح مابين

525-545هـ/1131-1150م، لكي نحصل على كثافة من العلماء تكون قابلة للتحليل، إذ اعتمدنا على تراجم 300 عالم من مجموع : 1544، دون الاهتمام بالتراجم الأخرى التي تقتضي بيانات أوفر للمترجم لهم. ولكنها تظل محدودة نسبيا، و هذه الإجراءات المنهجية سادت في المجالين الزماني و المكاني للأندلس.لأننا إذا وظفنا جميع التراجم الموجودة "بالصلة " ، و قتها سنكون أمام صعوبة منهجية و بالتالي أمام بيبليوغرافيا أضخم .

وعليه تم الصعود إلى مرحلة (525-545هـ/1131-1150م) لتأكيد التحليل الببليوغرافي لعمليات الاتصال الثقافي والفكري بين العلماء. إن الأزمة المرابطية بالأندلس جاءت بعد انهزامهم في شرق الأندلس عند قرية قلبيرة (Culera) سنة (523هـ/1129م) أمام القوات المسيحية ، و تأسيس دويلات طوائف جديدة ما بين (539-549هـ/1144-1154م). لقد تم حساب معدلات الحياة عند علماء الأندلس على ضوء ابن بشكوال، مستبعدين حياة المشاق ، و الجهاد و الحروب ، و الفتن، و العلماء الشهداء، أو الذين تعرضوا للاغتيالات و السجن و النفي من طرف الحكام.

و على أساس ذلك قسمنا معدلات الحياة حسب تأريخ ابن بشكوال للعلماء و الحياة الفكرية التي عاشتها الأندلس إلى ستة مراحل، و هي مبينة حسب الجدول التالي:

جدول رقم(1) معدل حياة العلماء حسب الفترات الزمنية عند ابن بشكوال:

	السنوات	معدل الحياة
01	420-440هـ	78-79 سنة
02	440-460هـ	73-74 سنة

03	460-480هـ	73 سنة
04	480-500هـ	75-76 سنة
05	500-525هـ	75 سنة
06	525-545هـ	75 سنة
المعدل العام		75 سنة

هذه الأرقام ما هي إلا أرقام معلوماتية نموذجية، لأن ابن بشكوال لم يذكر في " الصلة" معطيات حول الاغتيالات السياسية للعلماء.و من هنا نستنتج أن حياة العالم في الأندلس خلال القرن الخامس و أوائل القرن السادس الهجري كان معدل الحياة فيها يتراوح مابين 70 و 75 سنة.

لقد وصل عدد العلماء الذين قام ابن بشكوال بالترجمة لهم إلى 1544 عالما، مابين محدث و فقيه و قاض و أديب، و هذا الخليط يوضح أن ابن بشكوال كان له إدراك واسع و شمولي لمفهوم العالم. و قد وجه عنايته نحو الجانب الأخلاقي و السلوكي للعلماء، و قصص نشأته و مراحل دراسته و الشيوخ الذين روى عنهم، و الكتب التي ألفها، و رتب المترجمين على حروف المعجم، و ختم مؤلفه بـ 16 ترجمة للنساء العالمات.

و قد حاولنا القيام بإحصاء لأصول المترجم لهم في الصلة رغم الصعوبات المنهجية، حيث احتل ذوو الأصول القرطبية مركز الصدارة قبل طليطلة و إشبيلية، نظرا لانتماء مؤرخنا لهذه المدينة، و نظرا للدور السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي الذي لعبته خلال هذه الفترة، و الأحداث الخطيرة التي شهدتها.

جدول رقم(2) نسبة أصول المترجم لهم في الصلة:

المدينة	قرطبة	طليطلة	إشبيلية	سرقسطة	ألمرية	مرسية	شاطبة	غرناطة	بطليوس	بلنسية	المجموع
عدد المترجم لهم	536	184	129	61	43	25	23	22	22	13	1058
النسبة المئوية	34.78	11.54	08.37	03.95	02.75	01.62	01.45	01.42	01.42	0.64	100%

رسم بياني يمثل عدد المترجم لهم في الصلة :

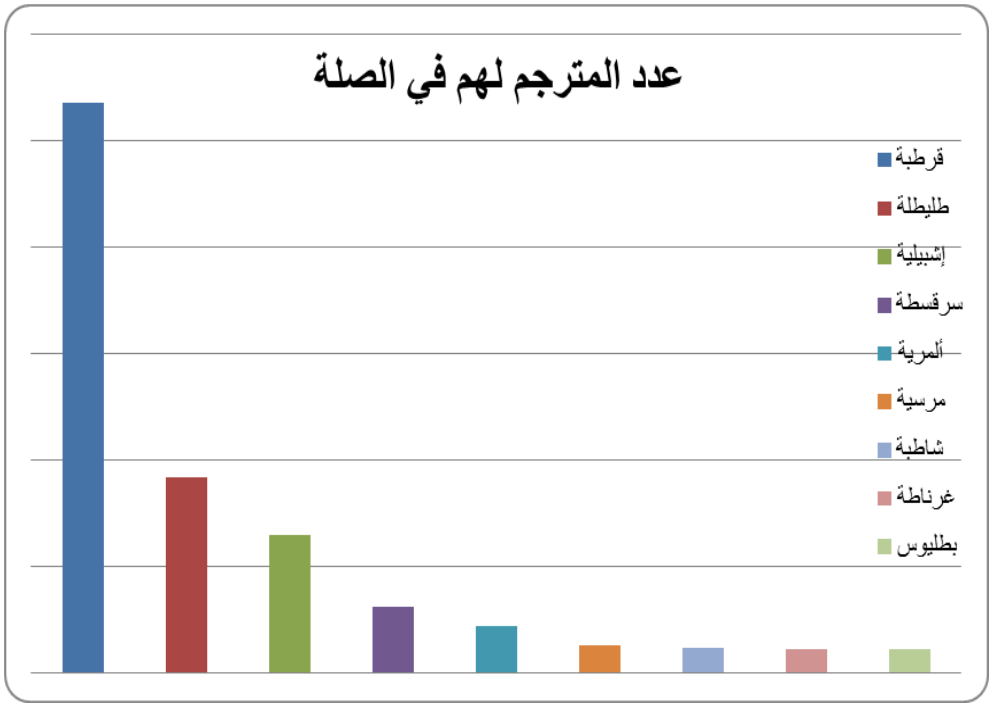

ما تجب الإشارة إليه في هذا الصدد ، أن هناك صعوبات اعترضت هذا الإحصاء الكمي:

- غياب ذكر المكان سواء الولادة أو الوفاة في عدد كبير من التراجم.
- صعوبة تحديد مكان انتماء المترجم.[4]
- الاقتصار على ذكر مكان الوفاة دون ذكر مكان الولادة.[5]
- ذكر اسم العالم بصفته أندلسي من دون تحديد بلده، مما يحتم علينا البحث في مصادر أخرى.[6]

إن محتوى كتاب الصلة من خلال هذا العرض أثبت صورة للتعبير التاريخي، و يرى ابن عبود: " بأن كتب السير و التراجم تعد نوعا من الكتب التاريخية التي لم تعط العناية الكافية بصفتها نوعا أندلسيا خاص." (7)

إن التمثيل البياني الرقمي تم جمعه من خلال 300 ترجمة نموذجية منتقاة من مجموع 1544 ترجمة مدونة في كتاب "الصلة" لابن بشكوال. و لأنه من الصعوبة بمكان نظريا غربلة كل التراجم بكمها الهائل، لمعرفة خصائص العلم و العلماء في الأندلس عبر قناة الاتصال الوثائقي في مجال الحياة الثقافية و الإنتاج الفكري. و بالنظر أيضا للتناقضات الموجودة داخل الصلة من جهة و التوزيعات الجغرافية للعلماء من جهة أخرى. لذا تم الاعتماد على هذا التجميع عبر مجال زمني محدد بفترات مابين 420-545هـ، و لأن هذا التجميع البيبليوغرافي و تصنيف التراجم كان مبنيا في ميدان الإجراء المنهجي على معطيات تم تحديدها حسب التجمع الجغرافي، و الرحلة ، و أماكن الاستقرار، و تاريخ المولد و الوفاة، و التخصص العلمي، على أساس التأليف و الإجازة. لذا كانت الاعتبارات التالية هي الإجراء الوحيد في هذه العملية:

- جمع و تصفيف المترجم لهم في جدول بيوغرافي عام على أساس : الإجازة- العمر- مكان الإقامة- تاريخ الوفاة- الإنتاج الفكري(مؤلفات- تخصصات علمية)- رحلة- مهنة- البلد- مكان الولادة.
- القيام بفرز على أساس الترتيب الكرونولوجي وفق تأريخ الصلة من القرن الرابع إلى أوائل القرن السادس الهجري بمراحل زمنية حددت سابقا.

إضافة إلى ما ذكر عند دراسة الاتصال الوثائقي بين العلماء ،و الاعتماد على عمليات تجميع علماء الأندلس حسب مناطق توزيعهم الجغرافي وذكر تواريخ

وفايتهم، وهذا بناء على ضوء تراجم ابن بشكوال. فإن الجدول الذي بين أيدينا يبرز أعدادهم خلال الفترات الزمنية المذكورة في الصلة:

جدول رقم (3): توزيع عدد العلماء في الأندلس على ضوء ابن بشكوال:

تاريخ الوفاة / المناطق	تراجم ابن بشكوال						
	420 هـ 440 هـ	440 هـ 460 هـ	460 هـ 480 هـ	480 هـ 500 هـ	500 هـ 525 هـ	525 هـ 545 هـ	المجموع
قرطبة	93	43	40	38	44	42	300
إشبيلية	63	26	19	12	18	17	135
غرناطة	6	2	7	8	7	8	38
مالقة	6	8	6	5	3	4	32
المرية	14	18	27	17	14	16	106
مرسية	4	4	4	6	9	8	35
الثغر الأعلى	18	6	16	16	20	3	79

الثغر الأدنى	12	5	11	10	14	6	58
الثغر الأوسط	48	42	50	19	18	3	180
المغرب	6	3	5	12	10	13	49
المشرق	101	64	46	40	19	14	284

تعتبر الأرقام الواردة في الجدول، بيانات خام، يمكن استنتاج عناصر أساسية منها:

إن الاعتماد على تواريخ وفيات العلماء، بواسطة أرقام المبينة في الجدول تعبر عن مرحلة الخلافة وهي تساعدنا على عملية الاتصال بين العلماء وتمدنا بمعلومات في غاية الأهمية.

إن إحصاءات العلماء في هذا الجدول تبين اختلال التوازن في بيانات الأرقام لهجرة العلماء داخل و خارج الأندلس، إذ أحصى ابن بشكوال علماء كثيرين. وربما هذا راجع بالدرجة الأولى إلى ما نتج عن حرب الاسترداد المسيحية منذ القرن 5هـ-11م، حيث اقتلعت العديد من المناطق الإسلامية، يدخل في إطارها أعداد العلماء بالنسبة للإحصائيات الأخيرة.

ومن خلال استقراء الإحصاءات الواردة في الجدول، نلاحظ كثرة العلماء المهاجرين نحو المشرق والمغرب بمجموع 333 وهذا في المرتبة الثانية بعد العاصمة قرطبة بـ 300 عالم.

إن استقلالية الأندلس من الخلافة العباسية منذ إعلان الخلافة الأموية سنة 316هـ/929م [8] قد أعطى القدسية الروحية للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس حسب تعبير ابن خلدون [9]

إن قراءة متأنية للأرقام بخصوص الثغور [10] تجعلنا نستنتج نقصان رجال العلم في هذه المناطق، بسبب الاسترداد المسيحي للأراضي الإسلامية وهجرة العلماء داخل الأندلس وخارجها.

من خلال الرصد البيبليوغرافي الإحصائي رسمنا جدولا للحياة الثقافية بالأندلس من خلال ما صوره لنا ابن بشكوال ، وهو ما يعبر عن اهتمامات الاتصال الوثائقي للحضارة العربية الإسلامية من خلال الحكم البيوغرافي للتراجم. وقد جمعنا في هذا الجدول حسب مخصصات المؤلفات الأندلسية مختلف العلوم السائدة وقتذاك، كالأدب، والحساب واللغة، والتاريخ والتراجم، وركزنا في هذا التجميع على كتاب الصلة بالدرجة الأولى.

و مما لا شك فيه أنه عند الدراسة الببليوغرافية للمؤلفين، نلاحظ سيطرت حقول علوم القرآن والحديث ثم الأدب في الدرجة الثانية، ومعها اللغة والشعر ثم التاريخ والحساب، وهناك تفضيل في العلوم التقليدية كأصول الفقه والتفسير ، ويلاحظ إهمال مطلق للتصوف والفلسفة والرأي والطب والحساب [11] والجدول التالي يوضح لنا أعداد المؤلفات عند ابن شكوال حسب التخصصات العلمية:

جدول رقم (4): أعداد المؤلفات الأندلسية على ضوء ابن بشكوال.

تاريخ الوفيات / التخصصات العلمية	تراجم ابن بشكوال						
	420هـ 440هـ	440هـ 460هـ	460هـ 480هـ	480هـ 500هـ	500هـ 525هـ	525هـ 545هـ	المجموع
الحديث	3	3	16	9	28	56	115
الفقه	14	15	19	17	51	70	186
القرآن	7	6	14	20	47	73	167
التفسير	/	2	/	2	3	4	11
أصول الفقه	2	1	1	3	9	6	22
الرأي	1	1	1	1	3	9	16
الأدب	8	19	16	15	46	57	161
الشعر	3	14	14	10	22	24	87
اللغة والنحو	7	11	17	18	30	41	124

التاريخ والتراجم	1	3	/	4	5	1	14
علوم الطبيعة	4	3	2	1	8	4	22
الحساب والفرائض	3	8	3	4	9	9	36
علم الكلام	1	1	1	4	3	7	17
الزهد	5	3	2	7	10	17	44
التصوف	1	/	2	1	1	2	07
الفلسفة	/	/	/	/	1	1	02
المجموع							1031

نستشف من البيانات الواردة في الجدول أعلاه تصاعد أعداد المؤلفات الأندلسية من فترة لأخرى وهذا من خلال ما صورته لنا تراجم ابن بشكوال. فنلاحظ سيطرت علوم الحديث في مجال التصنيف بـ115، يليها الفقه و أصوله بـ208، ثم علوم القرآن بـ 167. أما الدراسات اللغوية و النحو و الأدب و الشعر فأخذ حصة الأسد بـ 372.

أخذت العلوم و الرياضيات قسطا لا بأس به إذ قدرت بـ 58، في الوقت الذي سجلت فيه التراجم و التاريخ بـ 14 مؤلفا.أما مؤلفات الزهد و علم الكلام فقدرت بـ 61، تليها مؤلفات التصوف و الفلسفة بـ 9.و قدت سجلت تراجم "الصلة " بيانات وفيرة بهذا الخصوص منها: محمد بن خلف بن سعيد ابن المرابط من أهل المرية، له تأليف في شرح البخاري. [12]ومن خلال جدول المؤلفات الأندلسية، يتضح غلبة علم الحديث في مجال التأليف والكتابة على غرار العلوم الأخرى التي ارتبطت دوما بالشيوخ وانتقالهم في الاشتغال بالوظائف الحكومية. [13]و مطرف بن عيسى الغساني، من أهل غرناطة ألف للخليفة الحكم بن عبد الرحمن "المعارف في أخبار كورة ألبيرة و أهلها. [14]و محمد بن يحيى بن قاسم من أهل قرطبة، من تآليفه: "التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من النساء و الرجال" و " الأنبياء على أسماء الله"و البشرى في تأويل الرؤيا"و "الخطب و سير الخطباء". [15]()،و عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد الصدفي، من أهل طليطلة، من تأليفه: "المناسك"و "الأمراض". [16]

ظهرت كتب الصلات في الأندلس كنوع من التراجم مما أعطاها نوعا من الخصوصية الفكرية في الحضارة الإسلامية، فالكتابة لهذا النموذج (الصلات والتذييل) الذي أصبح حلقة متصلة في كتب التراجم الأندلسية، اتسم بإعطاء "هوية متصلة لفئات العلماء والفقهاء"، وتقول أصول هذا النموذج إلى ابن الفرضي الذي ذهب ضحية الفتنة البربرية بقرطبة.من خلال استقراء بيانات تراجم صلة ابن بشكوال، نتمكن من استخراج مجموعة من الإحصائيات وذلك من أجل إمكانيتين اثنتين هما:

أ- التجمعات الجغرافية لحقول العلوم الإسلامية.

ب- أعداد العلماء في التجمعات الجغرافية.

وهذه الإمكانيات هي في حقيقة الأمر معطيات بيوغرافية، تتموقع مند البداية على مستوى كمّي لا كيفي، لأنه لا يحيل على كل مؤلفات الأشخاص الذين تم جردهم في كتاب الصلة.

إن قبول كتب التراجم الاستجابة لمتطلبات التحليل العددي والمقاربة الكمية راجع بالدرجة الأولى إلى إمكان استعمالها "كاستمارة توثيقية معلوماتية"، ذلك أنه على الرغم من تباين "الأصناف الكتابية للترجمة" واختلاف نظام تقديمها بين مؤلف وآخر، فان الترجمة تجمع في تركيبها مجموعة من الثوابت بقيت قائمة على طول مختلف الفترات والأمكنة أما المتغيرات الموجودة في الترجمة فإنها غالبا ما ترتبط بالأهمية مثل (الإطناب في لائحة الشيوخ، أو الاستطرادات، أو الإستشهادات.

مما سبق يتبين لنا أنّ ابن شكوال لم يلتزم بذكر المصنفات وعناوينها، ولا من حيث الإشارة إلى مصادر التأليف وتوثيق المعلومات، ومهما يكن من أمر تنظيم ابن بشكوال لتراجمه في الصلة، فإنّها توافرت على مقدمات أساسية يمكن الاعتداد بها أو الاستشهاد بمحتوياتها، وهو بذلك قدم لنا صورة عن مناحي الثقافة الإسلامية بالأندلس. وقد قمنا بتفحص تراجم الصلة كدراسة تقريبية شملت 1544 ترجمة، منها 383 شخصية توفيت قبل 420 هـ، و207 ترجمة بعد545هـ ، لذلك تحفظنا من معطياتها التوثيقية. ولذلك كان لزاما علينا التقيد بدراسة 300 ترجمة بيوغرافية كما سبق ذكره في بداية الفصل.

اعتنى ابن بشكوال بتراجمه البوغرافية أعلى درجات الاهتمام والعناية والضبط والإتقان، والمستوى الرفيع من القدرة على بناء قواعد المعرفة

العلمية، وتوفير المادة التي تصلح لذلك، بعد أن اتسعت آفاق العلماء الأندلسيين، وتمكنوا من المساهمة في العناية بمعارفهم وحفظ ثقافتهم.

ولم يقتصر هذا الاهتمام وتلك العناية، بل اتسع نطاق ذلك عند علماء الأندلس الذين أدركوا ضرورة وضع هذه البرامج لتحفظ فيها أسماء العلماء وعناوين الكتب، وتتحدث عن أعمالهم وجهودهم، وتؤرخ للمراحل المتعاقبة للمعرفة، ولا سيما تلك الفترة التي بدأ الأندلسيون يشعرون معها بضرورة تقييد العلم العربي الإسلامي، خوفا من الضياع والاندثار، والحفاظ عليها أمام الإسبان، الذين أصبحوا يحتلون المدن الأندلسية المدينة تلو المدينة، اعتبارا من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

واستدعى هذا الموقف من ابن بشكوال أن ضمت تراجمه على العناصر التالية: [17]

1. ذكر النسب- الكنية – الموطن.
2. التركيز على الجانب العلمي: الحديث- الفقه – الرواية.
3. سرد لصفات وطباع المترجم له.
4. ذكر الشيوخ والعلماء الذين تتلمذ عليهم، سماعا- إجازة – مناولة.
5. الهجرة: داخل وخارج الأندلس.
6. تاريخ ومكان الولادة والوفاة.
7. التوسع في الترجمة للمشهورين من العلماء.
8. إبراز دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

إنّ القيام بجرد استكشافي شامل للمؤلف البيوغرافي للصلة، يهدف للوصول إلى إعطاء نوع من الصورة "البانورامية" للتاريخ الثقافي والديني كما

تعكسه لنا كتب التراجم، وعليه فإنّ التعامل مع الأدب البيوغرافي يترجم في الواقع مفهومين مختلفين للحدث التاريخي:

أ- لم يعد الحدث التاريخي يوجد مباشرة في الترجمة، وإنّما أصبح الحدث نظريا مستخلصا بعد عمل طويل في تحليل معطيات التراجم.

ب- لم تعد الترجمة إخبارية بما تحتوي عليه من معلومات جزئية، ولكن بما تمثله من حيث هي إنتاج فكري.

وكان اهتمام ابن بشكوال في التأليف قد تركز، اعتبارا من القرن الخامس الهجري على الاهتمام بالعلماء والتعريف بهم، وتسجيل مختلف طبقاتهم، وتحديد الروافد العلمية التي استقى منها هؤلاء المترجم لهم بذكر الشيوخ والرحلة والنشاط التأليفي. ونستنتج من كتاب الصلة لابن بشكوال واجهتين أساسيتين هما:

1. **رصد مراكز التعليم:** توضح معالم البيئة الثقافية من خلال الحديث عن مراكز التعليم، والاتجاهات العلمية السائدة، وتعيين العلماء المشرفين على هيئة التدريس.
2. **مواد الدراسة:** ترسم لنا الأجواء العلمية، والمواد المدرسة والمصنفات السائدة زمنئذ.

يلاحظ في هذا المجال أن أهل الأندلس كانوا تواقين إلى الزيادة في مداركهم و الإستزادة من علم مشاهير الوقت مهما كلفهم ذلك من تضحيات و مشاق.و قد أثمرت الرحلات العلمية و الحجية معلومات قيمة عن إطارات الحياة الثقافية ببلاد الأندلس و عن علمائه و العلوم التي برزوا فيها.كما أن السمة

المشتركة لهؤلاء الأعلام هي بحثهم عن العلم خارج أوطانهم الأصلية، و الاحتكاك و الاتصال بكبار الشيوخ.

إضافة إلى ما ذكر، نجد في كتب التراجم معطيات غنية عن جو التبادل الثقافي داخل المجال الأندلسي،و لعل أول ما يبرز للعيان هو أن ظاهرة انتقال الأعلام،علماء و طلبة،داخل بلاد الأندلس لم تكن منحصرة في حاضرة من الحواضر بل كانت تتصل بالسمعة العلمية للشيوخ المقيمين بها، و هو ما رصدته لنا تراجم ابن بشكوال. داخل هذا المجال الكبير لم تكن غربة فكرية و لا حنين، فالحركة الثقافية و العلمية تشهد على التكامل و الشعور بالانتماء إلى وطن واحد كما أن الوطن الفعلي للعالم و المدرس كان هو حلقات الدرس أو الفتوى و رحاب المدارس و المساجد وسط جمهور الطلبة و المهتمين بالعلم.

الهوامش:

(1) ابن بشكوال، الصلة في تاريخ علماء الأندلس (اعتناء و شرح: صلاح الدين الهواري)، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1423هـ/2003م.

(2) Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, Leiden, Brill,1965,2.T3.p.756.

(3) هو أبو القاسم، خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن راحة بن داكة بن نصر بن عبد الكريم بن وافد الخزرجي، الأنصاري، القرطبي الأندلسي[3]: محدث ، حافظ، مؤرخ، شاعر، مشارك في أنواع العلوم، ولد بقرطبة في ذي الحجة سنة 494هـ/1101م.

ولي ابن بشكوال القضاء في جهات إقليم إشبيلية، لكنه اعتزل القضاء بعد فترة، وعكف على الإشتغال بالعلم رواية و سماعا و تعليما. عمر طويلا و توفي في شهر رمضان سنة 578هـ/1183م. لابن بشكوال تصانيف كثيرة في التاريخ و الفقه و الحديث و الأخبار و التراجم، منها: كتاب الصلة، و هو ذيل لكتاب (تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضي و كتاب (الأسماء المبهمة) و كتاب (الغوامض و المبهمات) و كتاب (المستغثين بالله عند المهمات والحاجات)[3]، و قيل أن تصانيفه بلغت الخمسين مؤلفا. للمزيد،انظر:

Ben Cheneb (M), Huici (A) Miranda,« Ibn Bashkuwal »,in, Encyclopédie, p756.

ابن خلكان، أبي العباس أحمد، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (تحقيق: يوسف علي طويل، و مريم قاسم الطويل)،ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1999م. ج2، ص203.

(4) مثل أحمد بن محمد الأنصاري الواعظ، توفي بشرق الأندلس في نحو خمسمائة: ابن بشكوال: ترجمة: 159،ج 2،ص 75.

(5) أحمد بن قاسم بن محمد بن أصبغ البياني، محدث، توفي سنة ثلاثين و أربعمائة، ابن بشكوال، ترجمة:98، ج1، ص 54.

(6) الحسن بن حفص أبا علي، أندلسي،ابن بشكوال: ترجمة 309،ج 3،ص 125.

(7) محمد، بن عبود جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، تطوان: المعهد الجامعي للبحث العلمي، 1408هـ/1987م، ص 238.

(8) أعلن عبد الرحمن بن محمد نفسه خليفة في 316هـ/929مم، وتلقب بالناصر لدين الله، وامتد عصر الخلافة في الأندلس قرنا كاملا حتى سنة 422هـ/1031م: راجع:أبو العباس أحمد المراكشي، ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس (تحقيق ومراجعة: كولان وليفي بروفنصال)، ط2، بيروت: دار الثقافة، 1400هـ/1980م، ج2، ص: 198.

(9) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ط7، بيروت: دار القلم، 1409هـ/1989م، ص: 372.

(10) في أواخر عصر الولاة، وبداية عصر الإمارة بدأت القوّات الاسبانية تجمع نفسها، فأقامت لها إمارات صغيرة في الشمال الاسباني مستغلة سوء الأحوال في الأندلس، فظهر المارك الأسباني، وقامت إمارة النافار، وإمارة ليون، فظهرت إمارات حدودية أندلسية مقابلة لهذه الإمارات الاسبانية، تسمى بالثغور الأندلسية، وهذه الثغور ثلاثة هي:

1- الثغر الأعلى:

ويشمل في الجغرافية الأندلسية ولاية سرقسطة وأعمالها، وتعتبر سرقسطة قاعدة لهذا الثغر، ويواجه هذا الثغر إمارة النافار. و تضم المدن التالية: سرقسطة، و أشقة، و لاردة، و طرطوشة، و تطيلة، البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز،جغرافية الأندلس و أوروبا من كتاب المسالك و الممالك(تحقيق: عبد الرحمن الحجي)ط1،بيروت: دار الرشاد،1387هـ/1968،ص 61-62.

2- الثغر الأوسط:

يشمل ولاية طليطلة، وكانت قاعدته الأولى مدينة سالم ثم أصبحت مدينة طليطلة، ويواجه هذا الثغر إمارة ليون.و تشمل: طلبيرة، و مجريط،ووادي الحجارة، و إقليش.

3- الثغر الأدنى:

ويشمل المنطقة الواقعة بين نهر دويرة ونهر التاجة، ومن أشهر مدن هذا الثغر مدينة قورية ومدينة قلمرية، وأصبح مدلول مصطلح الثغور في الجغرافية الأندلسية، يعني هذه الثغور الثلاثة، ومن سكانها يطلق عليه

لقب ثغري.وتأتي أهمية هذه الثغور من كونها أصبحت المراكز المهمة التي تنطلق منها الجيوش الأندلسية لمجاهدة الإمارات الإسبانية التي ظهرت في الشمال والتي أخذت تسترجع المدن الأندلسية تباعا.

للمزيد راجع:

شكيب، أرسلان، العلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، القاهرة: 1936م، ج2، ص: 113.

(11) كل من اشتغل بالفلسفة واتبع آراء المعتزلة، يتهم في الأندلس بالزندقة، وكان محمد بن مسرة أحد ثمانية أندلسيين اتهموا بالزندقة ما بين القرنين (2 - 5هـ/8-11م).

للمزيد راجع:ابن سهل، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس (تحقيق: محمد أحمد خلاف)، القاهرة، 1981م، ص ص: 52-38.

(12) ابن بشكوال، ترجمة:1227،ج9،ص 436.

(13) حول هذا الموضوع ينظر: Mones, H, « Le rôle des hommes de religion dans l'histoire de l'Espagne musulmane jusqu'à la fin du califat », In studia islamica, T.XX, 1964, p.63.

(14) نفسه، ترجمة:1370،ج10،ص 482.

(15) نفسه، ترجمة:1105،ج8،ص ص 398-400.

(16) نفسه، ترجمة:686،ج5،ص 258.

(17) محمد، الشريف، الغرب الإسلامي، نصوص دفينة ودراسات، ط2، تطوان: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، 1999، ص ص : 103-104.